جامعة ابن طفيل
كليــة العلوم الإنسانية والاجتماعية
شعبة الجغرافيا
الفصل: الثاني

وحدة جغرافية الأرياف

الأستاذة: لمياء البزاري

السنة الجامعية

2025-2024

المحور الثالث: قراءة وتشخيص وتحليل بعض المشاهد الريفية والمشاهد الزراعية

يعتبر الإنسان عنصرا أساسيا في التأثير على الوسط الطبيعي بالإعداد والتنظيم ليستجيب لمتطلباته المعيشية. فالإنسان من خلال ممارسته للنشاط الإنتاجي في الميدان الفلاحي يعمل بصفة مباشرة على تغيير الوسط الطبيعي، الذي يعيش فيه من خلال تغيير بعض عناصر هذا الوسط أو إدخال معطيات جديدة عليه، ومن خلال النتائج المترتبة عن هذا التغيير حتى ولو كان طفيفا تنشأ المشهد الريفية والمشاهد الزراعية.

1-المشهد الريفي

1-1 تعريف المشهد الريفي

يعرف René Lebeau المشهد الريفي على أنه نتاج لمجموع العلاقات الدائمة والمتينة بين الإنسان والأرض (التربة). لهذا يعتبر المشهد الريفي شاملا لكل ما تضمه الأرياف من أراضي زراعية، ومراعي، وأراضي بورية، ومنشآت سكانية، وطرق، ومسالك، ومؤسسات إدارية وتجارية وخدماتية وسياحية وصناعية.... تعرف المشاهد الريفية تغير مظاهرها باستمرار وأيضا تحولات عميقة تتجلى عوامل تفسيرها فيما يلي: تطور الزراعة، تطور أنماط العيش، تطور المستوى المعيشي.

يحمل المشهد الريفي بصمات تاريخ تشكله: الطبونيميا، بقايا لآثار قديمة، أوراش الصناعة التقليدية، تطور التقنيات الفلاحية، توسع المزروعات ...، فهو بذلك يمثل الهوية المحلية لمجتمع معين جاءت نتيجة لسلسلة طويلة تتعاقب فيها عمليات متبادلة. لهذا لا يمكن تلخيص المشهد الريفي فقط فيما هو مشاهد من أشكال تنظيم المجال، وإنما يتعدى ذلك إلى ما هو غير مرئي (الأعراف، التقاليد، التاريخ...)

دراسة المشهد الريفي تتجاوز الأبعاد التقنية والكمية (مساحة المشارات وأشكالها، أنواع المغروسات، أنماط السكن...)، بل تتطلب معرفة جيدة وتحليل دقيق لكل مكوناته المرتبطة فيما بينها من خلال شبكة علاقات تفاعلية بين العناصر الطبيعية والعناصر البشرية، حيث تتداخل فيه أبعاد أخرى كإطار الحياة، ومختلف الممارسات المجالية للسكان، ووسط للعيش.

2-1 مقومات المشهد الريفي

يختلف المشهد الريفي اعتبارا للمعطيات الطبيعية والمعطيات البشرية المرتبطة بالوضعية القانونية للأراضي الفلاحية وبالأساليب الزراعية المستعملة.

1-2-1 العوامل الطبيعية

تعتبر العوامل الطبيعية أهم مقومات المشهد الريفي، حيث تختلف المشاهد الريفية تبعا للخصوصيات الطبيعية للمجال: واحي، صحراوي، جبلي، سهلي، ساحلي .... أو حسب النطاقات البيومناخية: المناطق المدارية، النطاق البارد، المناطق الاستوائية، النطاق المناخي الصحراوي....

المشهد الريفي حسب الظروف الطبيعية

الجبل	الواحة
السهل	الصحراء

2-2-1 البنية العقارية

العقار لفظا هو الأرض، ومفهوما هو عامل من عوامل الإنتاج. تعتبر البنية العقارية مسألة أساسية تتحكم بشكل كبير في المشاهد الريفية وركيزة أساسية للتنمية، فالملكية العقارية باعتبارها رأسمالا تابتا

تشكل الأرضية الضرورية لإعداد المشاريع بكل أنواعها الفلاحية، السياحية، الصناعية وغيرها. كما تعتبر ضمانة عينية قارة تمكن المستثمرين في المجال الريفي من الحصول على مستلزمات إنجاز المشاريع من مؤسسات التمويل والتدبير كالقروض مثلا، كما تتحكم في الإنتاج والمردودية وفي نوعية الاستثمارات.

ويمكن التمييز في ملكية الأرض بين الملكية الفردية والملكية الجماعية.

أ-الملكية الفردية

هي الملكية العقارية السائدة في البلدان ذات أنظمة الإنتاج الرأسمالية و البلدان ذات الاستقرار الزراعي القديم. ويكون لصاحبها حق استغلالها بكل حرية (بيع، كراء، رهن..)، وتنتقل ملكية هذه الأراضي بالإرث حسب القوانين والأعراف المتداولة في المجتمعات.

-**الملكية الفردية الكبرى**: تسمى اللاتيفونديا. يرتبط هذا المفهوم قديماً بالمساحة، والتي تمتد على مئات أو ألف من الهكتارات. لكن حالياً ترتبط الملكية الكبيرة بالإضافة إلى المساحة وجودة الأتربة بمؤشر الرأسمال وحجم اليد العاملة ونوعية الإنتاج والعلاقات مع الصناعات الغذائية.

-الملكية الصغرى: ناتجة عن طريق تجزؤ الملكيات الكبرى بفعل تواتر عمليات الإرث والبيع، أو من خلال تمليك الأراضي الجماعية أو بتوزيعها على صغار الفلاحين في إطار عمليات الإصلاح الزراعي. تنقسم الملكية الصغرى إلى ثلاثة أنواع:

*الملكية الصغرى المجهرية: نتجت عن تفسخ أنماط الإنتاج ما قبل الرأسمالية، كنمط الإنتاج العبودي. وبتحرير العبيد أصبحوا ملاكين للأرض فظهرت بهذا الملكية الصغرى. كما ظهر هذا النوع بفعل الضغط الديمغرافي على الأرض أو بسبب الثوارت الفلاحية.

*الملكية الصغرى التقليدية: تتميز بعدة خصائص، من بين أهمها:

- ضعف الرأسمال التقني وأدوات الاستغلال المستعملة (محراث، فأس..،)
- الاكتفاء باليد العاملة الأسرية.
- ضعف الإنتاج و تحقيق الاكتفاء الذاتي فقط.

*الملكية الصغرى الرأسمالية: المهم فيها ليس هو المساحة، وإنما الحجم والقيمة التجارية للإنتاج الفلاحي وحجم اليد العاملة المأجورة ومستوى إستعمال الآلات والأسمدة والرساميل. تشكل هذه العناصر معايير موضوعية لتمييز بين الملكية الصغرى التقليدية و الملكية الصغرى الرأسمالية.

ب- الملكية الجماعية

تعتبر الملكية الجماعية نوع من التملك الذي يخضع الأرض للاستغلال جماعي إما تحت تأثير العادات والعرف، أو كضرورة لمواجهة صعوبات العمل الفلاحي، أو بحثا عن تحقيق عدالة اجتماعية، فنميز بذلك بين الملكية الجماعية التقليدية والملكية الجماعية العصرية.

الملكية الجماعية التقليدية: ارتبط وجود هدا النوع بضرورة تكتل الجماعات من أجل التعاون و التآزر أمام ضعف الوسائل التقنية من جهة ، وغياب الشروط التي تضمن للملك الجماعي الاستقرار والاستدامة في يد الجماعة المستغلة، من جهة ثانية، فجعلت من العمل الجماعي وتوحيد الجهود أهم أداة في صيانة هذا الملك وحمايته.

هذا النوع من الملكية بسبب طبيعته لا يساهم في الاستثمار الكافي في الأرض. فعدم استقرار الفلاح قانونيا ومؤسساتيا فوق الأرض يجعله يوظف فيها أقل ما يمكن من جهوده وطاقاته المادية من تهيئة وتخصيب ومكننة، مستهدفا بذلك المردودية السريعة عن طريق التخفيض من تكاليف الإنتاج إلى أدنى حد.

هذا النوع من الملكية يظهر في المشهد الريفي على شكل زراعات سنوية خفيفة أو مجالات للرعي المتنقل تنعدم فيه الغراسة والتجهيزات الريفية والفلاحية المهيكلة (تهيئة، سدود، شبكة نقل الماء، تجهيزات سياحية...)

***الملكية الجماعية العصرية**: هي ملكيات جماعية اجتماعية ظهرت خلال القرن العشرين في دول عرفت ثورات سياسية واجتماعية شاملة كالاتحاد السوفياتي ودول أوربا الشرقية والصين...فقامت هذه الدول بتعميم وسائل الإنتاج بغية تحقيق عدالة اجتماعية، إنها وضعية الأراضي في الأنظمة الاشتراكية التي شهدت تطورات جذرية للقانون العقاري الذي جعل الدولة المالك الشرعي الوحيد للأرض. تارة تسهر الدولة بنفسها على استغلال الأرض (كالسفخوزات بالاتحاد السوفياتي سابقا)، أو إنشاء ضيعات واسعة على شكل تعاونيات للفلاحين (كالكلخوزات بالاتحاد السوفياتي والكومنات الشعبية في الصين). غير أن ما عرفه العالم من تطورات في الوقت الراهن خاصة بعد سقوط الأنظمة الاشتراكية، عمدت هذه الدول إلى الانفتاح على الرأسمالية بإعادة الأراضي إلى ملاكها أو كرائها للمستغلين.

2-2 الأساليب الزراعية

يطلق لفظ الأسلوب الزراعي على الطريقة التي يسعى بها مجتمع فلاحي إلى الاستفادة من أراضيه. فهو بذلك الاستراتيجية المستعملة فوق استغلالية ما قصد تحقيق إنتاج فلاحي ويتم ذلك عبر اختيار النباتات الملائمة وأساليب وتقنيات الاستغلال.

وقد ساهم تطور الأساليب الزراعية في إحداث تغيرات كبيرة على المشهد الريفي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وذلك دون أن يطرأ تغيير كبير على المساحات الصالحة للزراعة. فقد عرفت أساليب وتقنيات الإنتاج الفلاحي تطورات متتالية منذ القرن 18, نتجت عن التقدم الذي شهدته الصناعات الميكانيكية والكيماوية وعن تطور التكنولوجيات الحديثة كالتكنولوجيا الحيوية والهندسية الوراثية، وقد شملت هذه التطورات المجالات التالية:

-المجال الزراعي: لقد ساعد تطور تقنيات الري عن طريق الرش أو بواسطة الأدرع المحورية أو التنقيط على تجنب تبذير المياه وتوزيعها بشكل منظم. وساهم الاستعمال المتزايد للآلات في مختلف مراحل الإنتاج والاستعمال الكثيف للأسمدة الكيماوية في الرفع من المردود الزراعي.

-تربية الماشية: شملت التطورات التقنية مجال تحسين سلالات الماشية عن طريق التلقيح الاصطناعي والتزاوج الذي يسمح بنقل الخصائص الوراثية لأنواع جديدة من الأبقار وكذلك نقل الأجنة.

-تسيير الضيعات: يعد اللجوء إلى الحاسوب أهم التطورات في هذا المجال. فقد أصبح يتولى مراقبة الأشغال في الضيعات والإشراف على نظام السقي وتحديد الحصص الغذائية للماشية. كما مكن التقدم التقني من التصدي لبعض الأخطار الطبيعية كالجفاف والبرد والجراد.

نماذج تجهيز الضيعات للتصدي لبعض الأخطار الطبيعية

غير أن دول العالم تختلف من حيث درجة تبني وتطبيق هذه التقنيات، فالدول المتقدمة تحظى بالسبق في هذا المجال بينما تظل التقنيات التقليدية هي السائدة في العالم النامي. تستثنى من ذلك بعض الضيعات الكبرى التي يتوفر أصحابها على إمكانيات مادية تسمح باستعمال هذه التقنيات. وعلى هذا الأساس نميز حسب طبيعة وسائل العمل بين مشهدين ريفيين:

-مشهد ريفي تقليدي: يتميز بإنتاج محدود كما وكيفا. لاستعماله للأدوات التقليدية واعتماده على القوة البشرية والحيوانية في العمليات الزراعية. تطغى على المشهد الوظائف التقليدية للمجال القروي التي غالبا ما ترتكز على الزراعة، الرعي، الغابة، المجالات البورية.

-مشهد ريفي عصري: يتميز بارتفاع المردودية كنتيجة مباشرة لاستعمال الأساليب التقنية الحديثة. يسود في المجالات السهلية حيث شساعة الأراضي المسقية.

الأساليب الزراعية التقليدية	الأساليب الزراعية العصرية

يتضح أن المشهد الريفي هو تركيب دينامي للعناصر الطبيعية والاقتصادية والبشرية تؤثر في بعضها البعض وتجعل من المشهد الريفي كيان متفرد واجتماعي في تطور مستمر. ولقد أصبح المشهد الريفي يخضع لمجموعة من التحولات حيث بدأت تسند إليه وظائف جديدة غير فلاحية، تربطه بالمدن، كما تجعل منه مجالا مشتركا بين الفلاحين وفئات أخرى من الفاعلين.